

المجلة الدولية للبحث والتطوير التربوي

International Journal of Educational Research and Development

مجلة علمية – دورية – محكمة – مصنفة دولياً



Entity Disclosure Theory: A Structural-Cognitive Framework for Explaining the Formation and Continuity of Depressive Symptoms.

Maryam Hamoud Daher Al-Shammari

Department of Curriculum and Learning Technologies, College of Humanities and Social Sciences, Northern Border University, Kingdom of Saudi Arabia.

Email: mm42m@hotmail.com

تاريخ قبول نشر البحث: ٢١ / ٥ / ٢٠٢٦م

نظرية كشف الكيان: إطار بنيوي-معرفي لتفسير تشكّل واستمرارية الأعراض الاكتئابية.

أ. مريم حمود ظاهر الشمري

قسم المناهج وتقنيات التعلم، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الحدود الشمالية، المملكة العربية السعودية.

تاريخ استلام البحث: ١٧/٤/٢٠٢٦م

KEY WORDS:

Entity Revelation Theory (ERT); Structural-Cognitive Framework; Depressive Symptoms.

الكلمات المفتاحية:

نظرية كشف الكيان - إطار بنيوي-معرفي - الأعراض الاكتئابية.

ABSTRACT:

This paper presents an integrative conceptual formulation of the Entity Revelation Theory (ERT) as a structural-cognitive framework intended to explain the development, persistence, and recurrence of depressive symptoms with greater precision. The paper is based on the premise that certain forms of persistent depression cannot be adequately understood solely as an extension of overt negative cognitive content, despite the substantial explanatory value of the classical cognitive model. Instead, it proposes that enduring vulnerability to depression may be associated with the interaction of four core components: self-related schematic vulnerability, biases in self-referential processing, repetitive regulatory processes such as rumination, avoidance, and certain patterns of immature defensive functioning, and difficulties in updating beliefs in light of disconfirming positive information.

This formulation is not presented as a definitive causal model but rather as a testable theoretical framework grounded in the convergence of several contemporary lines of evidence concerning depressive relapse, experiential avoidance, defensive functioning, cognitive schemas, self-referential processing, and belief-updating mechanisms. Furthermore, the paper emphasizes that processes operating outside full conscious awareness should be understood within the limits supported by empirical evidence, namely automatic, pre-attentive, or partially implicit processes, without assuming the existence of a unified unconscious controller.

مستخلص البحث:

تقدّم هذه الورقة صياغةً تصوريةً تكامليةً لما يُقترح تسميته نظرية كشف الكيان بوصفها إطارًا بنيويًا-معرفيًا يهدف إلى تفسير تشكّل الأعراض الاكتئابية واستمرارها وانتكاسها على نحو أدق. وتنطلق الورقة من فرضية مفادها أن بعض صور الاستمرار الاكتئابية لا تُفهم على نحو كافٍ إذا اختزلت في امتداد محتوى فكري سلبي ظاهر، حتى مع الاعتراف بالقيمة التفسيرية الكبيرة للنموذج المعرفي الكلاسيكي. وبدلاً من ذلك، تقترح الورقة أن استمرار القابلية الاكتئابية قد يرتبط بتفاعل أربع مكونات: قابلية مخططيته مرتبطة بالذات، والحيازات في المعالجة المرجعية للذات، وعمليات تنظيمية متكررة من قبيل الاجترار والتجنب وبعض أنماط الوظيفة الدفاعية غير الناضجة، وصعوبات في تحديث المعتقدات على ضوء المعلومات الإيجابية الناقصة.

ولا تُقدّم هذه الصياغة بوصفها نموذجًا سببيًا محسومًا، بل بوصفها تركيبًا نظريًا قابلاً للاختبار، يستند إلى تقارب عدة خطوط من الأدلة الحديثة حول الانتكاس، والتجنب الخبراتي، والوظيفة الدفاعية، والمخططات، والمعالجة المرجعية للذات، وتحديث المعتقدات. كما تؤكد الورقة أن الحديث عن العمليات الجارية خارج الوعي الكامل يجب أن يظل محدودًا بما تدعمه الأدلة من مساهمات تلقائية أو ما قبل انتباهية أو جزئية الضمنية، دون القفز إلى فرض «متحكم لاواعي» موحد.

إفصاح عن استخدام الذكاء الاصطناعي

استعانت الباحثة بأدوات الذكاء الاصطناعي التوليدي، ولا سيما الأداة: ChatGPT، وذلك لأغراض محدودة تشمل: [مثل: تحسين الصياغة اللغوية / مراجعة القواعد النحوية / ترجمة بعض الفقرات / توليد أفكار أولية]. وتجدر الإشارة إلى أن جميع الأفكار العلمية والمنهجية والاستنتاجات والتحليلات الواردة في هذه الورقة تعكس عمل الباحثة وحكمها العلمي المستقل، وقد خضع المحتوى المُؤدّ بواسطة الذكاء الاصطناعي للمراجعة الدقيقة والتحقق والتعديل من قِبل الباحثة، التي تتحمل المسؤولية الكاملة عن دقة المحتوى وسلامته الأكاديمية.

المقدمة:

تشير أدبيات الاكتئاب الحديثة إلى أن تفسير تشكّل الأعراض لا يستنفد بالضرورة تفسير استمرارها أو عودتها؛ فوجود أعراض أولية أو تحسنها الجزئي لا يحسم وحده طبيعة العمليات التي تُبقي قابلية الانتكاس قائمة، ولا يفسر دائماً لماذا تعود الأعراض بعد فترات من الانخفاض الظاهري في الشدة (Buckman et al., 2018; Brouwer et al., 2019; Wojnarowski et al., 2019). ومن هنا تبرز الحاجة إلى تمييز منهجي بين تفسير النشأة وتفسير الاستمرار، لأن كثيراً من الاختلالات النظرية تنشأ حين يُفترض أن ما يفسر بداية الحالة يكفي وحده لتفسير استمرارها.

وهذه الورقة ليست دراسة تجريبية مستقلة ولا مراجعةً منهجيةً جديدة، بل هي مقالة تصورية تكاملية تعيد تنظيم مجموعة من الأدلة الحديثة في محاولة لصوغ فرضية أكثر دقة عن الاستمرار الاكتئابي. والافتراض المركزي فيها ليس أن النموذج المعرفي التقليدي ضعيف، بل أن بعض صور الاكتئاب المستمر أو الراجع قد تستدعي مستوى تحليلياً أوسع يضم، إلى جانب المعتقدات والتحيزات، عمليات التنظيم الدفاعي/التجنبني، والانحيازات المرجعية للذات، وصعوبات تحديث المعتقدات في ضوء المعلومات الإيجابية الناقضة (Akbari et al., 2022; Bishop et al., 2022; Collins & Winer, 2024; Zabag et al., 2025).

وعلى هذا الأساس، لا تُصنّف نظرية كشف الكيان في هذه الورقة بوصفها نظرية معرفية خالصة تفسر الاكتئاب من خلال المحتوى الفكري المشوّه وحده، ولا بوصفها نظرية دينامية نفسية صرفة تجعل الدفاعات جوهر التفسير المستقل، بل بوصفها فرضية تركيبية بنوية-معرفية ذات امتداد دفاعي-تنظيمي؛ أي إنها تنطلق من أن القابلية الاكتئابية تُبنى داخل تنظيم للذات، ثم تُحفظ عبر تفاعل المخططات السلبية، والانحيازات المرجعية للذات،

والعمليات الدفاعية-التجنبنية، وصعوبات تحديث المعتقدات، بحيث تصبح البنية الحافظة نفسها مستوى تفسيرياً لا يقل أهمية عن مضمون الفكرة السلبية المفردة.

تأطير المشكلة ومسوغات الدراسة:

تتبع مشكلة هذه الورقة من ملاحظة مفادها أن تراجع الأعراض لا يعادل بالضرورة زوال القابلية البنوية لعودتها. وقد بينت مراجعات حديثة في الانتكاس والعودة أن الأعراض المتبقية، وتاريخ النوبات السابقة، وبعض مؤشرات القابلية المستمرة، تظل من أكثر المؤشرات ثباتاً في التنبؤ بالعودة إلى الاكتئاب، حتى بعد تدخلات علاجية

فعالة (Buckman et al., 2018; Wojnarowski et al., 2019).

كما أظهرت دراسات المتابعة قبل بدء التدخلات الوقائية أن التفاعلية المعرفية وبعض أنماط الاجترار قد ترتبط لاحقاً بخطر الانتكاس، بما يشير إلى أن جزءاً من المشكلة يكمن في آليات كامنة نسبياً في نمط المعالجة، لا في شدة العرض الراهن وحدها (de Klerk et al., 2022).

Sluis et al., 2022).

وتستند مسوغات هذه الورقة إلى ثلاث اعتبارات مترابطة. أولها أن أدلة الانتكاس والاستمرار تجعل من المشروع نظرياً البحث عن وحدة تفسير أوسع من «المحتوى» المعرفي المفرد (Buckman et al., 2018; Brouwer et al., 2019). وثانيها أن عدة خطوط بحثية متوازية —

في الاجترار، والتجنب الخبراتي، والوظيفة الدفاعية، والمخططات، والمعالجة المرجعية للذات، وتحديث المعتقدات — تتقاطع في الإشارة إلى أن الاكتئاب قد يُحافظ عليه عبر عمليات متعددة المكونات، حتى وإن ظلت القوة السببية لكل مكون متفاوتة (Akbari et al., 2022; Bishop et al., 2022; Fiorentino et al., 2024; Zabag et al., 2025).

وثالثها أن هذه الخطوط، إذا جُمعت بحذر، تسمح بصياغة فرضية تصورية أكثر تحديداً من القول العام إن «التفكير السلبي» هو كل ما يلزم للتفسير.

الخلفية النظرية المعاصرة:

تدل أدبيات الانتكاس المعاصرة على أن الاكتئاب ليس مجرد حادثة عرضية تنتهي بانخفاض الأعراض، بل قد يتخذ شكل قابلية متبقية ترتبط بتاريخ النوبات، وبالأعراض المتبقية، وبمحددات معرفية وانفعالية تستمر بدرجات متفاوتة بعد التحسن (Buckman et al., 2018; Brouwer et al., 2019; Wojnarowski et al., 2019).

وهذه النتيجة لا تثبت وجود «بنية» واحدة بعينها، لكنها تجعل من الصعب نظرياً ردّ الاستمرار إلى محتوى فكري سلبي معزول.

الذاتية السلبية. ومع ذلك، فإن هذا كله لا يبرر تحويل العلاقات المتعددة إلى «نظام سببي مغلق»؛ فالأدبيات النقدية للشبكات الاكتئابية تحذر من أن كثيرًا من دعاوى السببية في هذا الحقل لا تستوفي شروطها المنهجية بما يكفي. (Huang et al., 2023)

نموذج بيك المعرفي: القيمة والحدود

يظل نموذج بيك المعرفي مرجعًا تأسيسيًا في فهم الاكتئاب؛ إذ يقوم، في صيغته الكلاسيكية، على دور المخططات، والثالوث المعرفي، والتحيزات في تفسير الذات والعالم والمستقبل. (Beck et al., 1979) ومن المهم هنا التأكيد على أن إعادة قراءة هذا النموذج لا ينبغي أن تختزله في «تصحيح المحتوى» فحسب؛ لأن بيك نفسه لا يتحدث عن أفكار سطحية منفصلة، بل عن تنظيمات معرفية أعمق توجه التفسير والانتباه والتوقع.

ومع ذلك، فإن إعادة البناء المعاصر للأدلة تكشف حدودًا معينة في الاكتفاء بقراءة معرفية تُركّز على محتوى التحيزات وحده. فالمراجعات الحديثة تُظهر أن بعض التحيزات المعرفية المرتبطة بالاكتئاب ليست نوعية له نوعيًا حاسمة، وأن مفهوم «المعرفي» نفسه، إذا بقي عامًا ومطاطًا، قد لا يحدد بدقة كافية الآليات التي تُبقي الاكتئاب فعالاً أو قابلاً للعودة (Nieto et al., 2020; Kube et al., 2020). كما أن أدلة الانتكاس بعد العلاج المعرفي السلوكي تشير إلى أن خفض الأعراض أو تعديل بعض أنماط التفكير لا يلغي بالضرورة جميع عوامل الاستمرار، خصوصًا حين تبقى الأعراض المتبقية أو تاريخ الانتكاس أو أنماط التفاعلية المعرفية حاضرة (Wojnarowski et al., 2019).

وعليه، فإن موضع الإضافة المقترحة في هذه الورقة لا يتمثل في دحض نموذج بيك، بل في اقتراح أن بعض صور الاستمرار والانتكاس قد تحتاج إلى توسيع وحدة التحليل من المخطط/التحيز المعرفي إلى تنظيم حافظ يضم أيضًا الاجترار، والتجنب، وبعض مظاهر الوظيفة الدفاعية، والاختلالات المرجعية للذات، وصعوبات التحديث الإيجابي. وهذه ليست قطيعة مع بيك، بل إعادة توزيع لمستويات الشرح.

نظرية كشف الكيان: الأساس المفاهيمي

في هذه الورقة لا يُستخدم مصطلح الكيان بوصفه اسمًا لجوهر خفي أو لوكيل لاواعي مستقل، بل بوصفه تنظيمًا حافظًا بنيويًا-معرفيًا يتكون عندما تنتظم قابلية الذات السلبية، وانحيازات المعالجة المرجعية للذات، والوظائف الدفاعية-التجنبية، وصعوبات التحديث المعرفي داخل نمط واحد يميل إلى إعادة إنتاج الضيق بدل فتحه على المراجعة والتصحيح. ومن ثم فـ«الكيان» ليس عنصرًا منفردًا، ولا

وفي سياق العمليات المحافظة على الاضطراب، حظي الاجترار والتفكير السلبي المتكرر بمكانة متزايدة بوصفهما عمليات يمكن استهدافها علاجيًا، لا مجرد موضوعات فكرية. وقد بينت تحليلات تلوية أن العلاجات النفسية تُحدث خفضًا في التفكير السلبي المتكرر لدى الشباب، كما أظهرت تحليلات أخرى أن العلاج المعرفي السلوكي يمكن أن يؤثر في الاجترار والقلق والتفكير المتكرر عبر اضطرابات متعددة. (Bell et al., 2023; Stenzel et al., 2025) وهذا يعزز القراءة التي ترى أن بعض آليات الاستمرار تعمل على مستوى نمط المعالجة، لا على مستوى مضمون الفكرة فقط.

وفي خط بحثي مواز، تظهر علاقة قوية بين التجنب الخبراتي والأعراض الاكتئابية والاضطراب الاكتئابي الرئيس، كما تشير المراجعة المنهجية والتحليل البعدي في الوظيفة الدفاعية إلى أن الأفراد المصابين باضطرابات اكتئابية يميلون إلى مستويات أعلى من الوظائف الدفاعية غير الناضجة مقارنة بغيرهم، مع بقاء الدليل على التغيير السببي طويل المدى أضعف من الدليل على الفروق بين المجموعات (Akbari et al., 2022; Fiorentino et al., 2024). (Ma et al., 2024) وتضيف دراسة (Ma et al., 2024) أن الدفاعات غير الناضجة قد تؤدي دورًا وسيطًا إحصائيًا في العلاقة بين الأحداث الحياتية السلبية والأعراض الاكتئابية، وهي نتيجة مفيدة نظريًا، لكن ينبغي إبقاؤها في حدودها غير السببية الصارمة.

أما في مستوى البنى المخططة والتنظيم الذاتي، فتشير الأدلة إلى أن المخططات المبكرة غير التكيفية ترتبط بالاكتئاب ارتباطًا قويًا، وإن كان كثير من هذا الدليل مقطعيًا أكثر منه طوليًا. (Bishop et al., 2022) كما تبين المراجعة المنهجية والتحليل البعدي للمعالجة المرجعية للذات أن الاكتئاب لا يرتبط فقط بزيادة السلبية الذاتية، بل أيضًا بانخفاض معالجة الإيجابية الذاتية، وهو ما يفتح بابًا نظريًا مهمًا لفهم الاستمرار بوصفه عجزًا عن استقبال ما يناقض البنية السلبية، لا مجرد وجود بنية سلبية في حد ذاتها. (Collins & Winer, 2024) ويكتسب هذا المعنى قوة إضافية من نتائج Allison et al. (2021) التي توحى بأن بعض اختلالات المعالجة المرجعية للذات قد تستمر خلال الهدأة وترتبط لاحقًا بتوليد ضغوط بين-شخصية.

وأخيرًا، فإن الأدلة الحديثة على عجز التحديث الاعتقادي تجاه المعلومات الإيجابية الناقضة تمنح هذا النقاش بُعدًا أليًا أكثر تحديدًا؛ إذ تُظهر مراجعة (Zabag et al., 2025) وجود عجز صغير لكنه موثوق في تحديث المعتقدات في اتجاه المعلومات الإيجابية، وهو ما ينسجم مع تصور يرى أن استمرار الاكتئاب قد يرتبط بجمود نسبي في تعديل البنية

الدقيقة، أما وساطة الدفاعات بين الأحداث السلبية والأعراض في دراسة (Ma et al., 2024) فهي وساطة إحصائية لا تكفي وحدها لإثبات السببية. ولذلك فإن أقصى ما يمكن الدفاع عنه هنا هو أن تشكل بعض الأعراض قد يصبح أكثر احتمالاً حين تتقاطع قابلية مخطئية سلبية مع نمط تنظيمي يتب الصيق بدل أن يفتحه على تصحيح لاحق.

آلية استمرار الأعراض واستمراريتها

في مقابل ذلك، تبدو حجة الاستمرار أقوى وأوضح. فقد أظهرت مراجعات الانتكاس والعودة أن الأعراض المتبقية، وتاريخ النوبات السابقة، وبعض مؤشرات القابلية كالنفاغلية المعرفية، تظل ذات وزن تنبؤي معتبر بعد التحسن، بما يعني أن انخفاض الأعراض لا يكافئ دائماً زوال قابلية الانتكاس (Buckman et al., 2018; Brouwer et al., 2019; Wojnarowski et al., 2019; de Klerk-Sluis et al., 2022).

ويضاف إلى ذلك أن بعض انحيازات المعالجة المرجعية للذات قد تبقى خلال الهدأة وتنبئ لاحقاً بتوليد ضغوط بين-شخصية، وأن عجز التحديث نحو المعلومات الإيجابية الناقضة يظل حاضراً بدرجة موثوقة، وإن كانت صغيرة (Allison et al., 2021; Zabag et al., 2025).

ومن هنا تقترح هذه الورقة أن الاستمرار قد يُفهم بصورة أدق إذا نظرنا إليه بوصفه بقاءً جزئياً لتنظيم حافظ، لا مجرد بقاء لبعض الأعراض. ويشمل هذا التنظيم — بحسب الأدلة الأقوى حالياً — استمرار بعض أنماط الاجترار، والتجنب، والانحياز المرجعي للذات، وصعوبات تحديث المعتقدات، مع احتمال بقاء بعض المظاهر الدفاعية غير الناضجة أو عودتها تحت الضغط (Akbari et al., 2022; Bell et al., 2023; Fiorentino et al., 2024; Perry et al., 2025).

ولا يعني هذا أن كل انتكاس يمر بالمسار نفسه، بل يعني أن التفسير قد يصبح أدق حين يُسأل: ما الذي بقي من البنية الحافظة بعد أن خفت شدة العرض؟

وإذا كانت مساهمة هذا الإطار في تفسير التشكل الأولي أكثر احتياطاً، فإن إسهامه في تفسير الاستمرار يبدو أقوى؛ لأن السؤال هنا لا يعود: لماذا ظهرت الأعراض؟ بل: لماذا بقيت قابلية العودة فعالة بعد انخفاضها الجزئي؟ وفي هذا المستوى، تقترح نظرية كشف الكيان أن ما يبقى ليس فقط "أثر الأعراض"، بل أثر التنظيم الحافظ؛ أي بقاء قابلية مخطئية سلبية، واستمرار بعض الانحيازان المرجعية للذات، ودوران العمليات الاجترارية/التجنبية، وضعف الاستفادة من المعلومات الإيجابية الناقضة، بما يجعل التحسن العرضي أقل من أن يعادل التغيير البنوي الكامل. النظام الدفاعي والعمليات الجارية خارج الوعي الكامل

مرادفاً لشدة الاكتئاب، ولا تسمية بديلة للأعراض نفسها، بل هو اسم افتراضي للتنظيم الذي يجعل بعض الحالات أكثر قابلية لتحويل التهديد أو الفقد أو الجرح العلاقي إلى خبرة اكتئابية ممتدة أو قابلة للعودة.

وبهذا المعنى، فإن القيمة التفسيرية لهذا المصطلح لا تكمن في افتراض عامل كامن جديد، بل في نقل مركز التحليل من الفكرة السلبية المفردة إلى البنية التي تجعل تلك الفكرة أكثر ثباتاً، والخبرة الإيجابية أقل قدرة على التعديل، والتنظيم الدفاعي أكثر ميلاً إلى إبقاء الضيق قائماً. لذلك فوجود أحد المكونات منفرداً لا يكفي للحدث عن "الكيان"، كما أن تساوي جميع الحالات الاكتئابية في هذا التنظيم ليس مقترضاً سلفاً، وإنما يُفترض فقط أن بعض صور الاستمرار والانتكاس قد تصبح أوضح تفسيرياً حين تُقرأ بوصفها أثراً لبقاء هذا التنظيم الحافظ جزئياً بعد تراجع العرض الظاهر. ومن الوجهة النظرية، تولد هذه الصياغة توقعات قابلة للاختبار. فإذا كانت الفرضية صحيحة جزئياً، فينبغي أن ترتبط مخاطر الاستمرار أو الانتكاس ليس فقط بالأعراض المتبقية، بل أيضاً ببقاء بعض المكونات السابقة بعد التحسن العرضي، كاستمرار الانحياز المرجعي للذات، أو بقاء الاجترار، أو ضعف التحديث الإيجابي، أو ارتفاع بعض أنماط الوظيفة الدفاعية غير الناضجة. كما ينبغي، على المستوى العلاجي، أن يكون للتدخلات التي تستهدف هذه العمليات أثر مختلف عن التدخلات التي تقتصر على إعادة بناء المحتوى الظاهر وحده. وهذه التوقعات ليست نتائج مثبتة هنا، بل امتدادات تفسيرية يقترحها هذا الإطار.

آلية تشكل الأعراض

يمكن، في حدود ما تسمح به الأدلة الحالية، تصور تشكل الأعراض الاكتئابية على أنه يبدأ لا من العرض ذاته، بل من تنشيط قابلية بنوية سلبية في الذات عند التعرض لفقد أو تهديد أو خبرة جارحة. وعندما يحدث هذا التنشيط، لا تعمل المخططات السلبية وحدها، بل تتداخل معها عمليات تنظيمية من قبيل الاجترار والتجنب وبعض الوظائف الدفاعية غير الناضجة، فتتحول الخبرة الضاغطة من واقعة عابرة قابلة للمعالجة إلى خبرة تميل إلى التثبيت والتكرار. ومع أن هذا المسار لا يجوز تقديمه بوصفه سلسلة سببية محسومة، فإنه يظل صياغة تفسيرية معقولة لما يمكن أن يحدث حين تجتمع قابلية مخطئية سلبية مع تنظيم دفاعي-تجنبني يضعف استقبال التصحيح ويزيد احتمال استدامة الضيق.

لكن هذه الصياغة يجب ألا تُقرأ بوصفها سلسلة سببية محسومة. فالدليل على المخططات قوي في الارتباط وأكثر محدودية في الاتجاهية الطولية، والدليل على الدفاعات أقوى في التمييز بين المجموعات منه في بيان الآلية الزمنية

وصعوبات التحديث الإيجابي، وربما بعض مظاهر الوظيفة الدفاعية غير الناضجة (Akbari et al., 2022; Collins & Winer, 2024; Zabag et al., 2025).

ومن ثم، فالسؤال في النموذج المقترح لا يقتصر على: ما المعتقد السلبي أو التفسير المشوه؟ بل يمتد إلى: ما البنية التي تجعل بعض الأنماط المعرفية أكثر مقاومة للتصحيح، وبعض الخبرات الإيجابية أقل قدرة على إحداث التعديل، وبعض العمليات التنظيمية أكثر ميلاً إلى إعادة إنتاج الضيق؟ وفي هذا المعنى يكون ما تضيفه الورقة ليس «بديلاً» عن المخطط المعرفي، بل تصورًا لاحتمال أن تكون البنية الحافظة وحدةً تكمليةً للفهم، خصوصًا حين يكون موضوع البحث هو الاستمرار والانتكاس لا النشأة اللحظية فحسب.

وإذا أريد تلخيص الفرق بين النموذجين على نحو مركز، أمكن القول إن نموذج بيك يعمل أساسًا في مستوى المحتوى المعرفي وتنظيمه المخططي، في حين تعمل نظرية كشف الكيان في مستوى البنية الحافظة التي تجعل ذلك المحتوى أكثر مقاومة للتصحيح. فآلية بيك الأولية هي التفسير المشوه والانحياز المعرفي، أما آلية كشف الكيان فتكمن في تفاعل البنية المخططة مع التنظيم الدفاعي-التجنبني والانحيازات المرجعية للذات وصعوبات التحديث الإيجابي. وهدف التدخل في نموذج بيك هو تعديل المحتوى والافتراضات والمخططات المختلة، بينما يميل هدف التدخل هنا إلى كشف التنظيم الحافظ وإضعاف اعتماده على الاجترار والتجنب والدفاعات غير الناضجة. ومن ثم فإن قوة نموذج بيك تكمن في اتساعه السريري ووضوح آلياته المعرفية، في حين تكمن إضافة نظرية كشف الكيان في أنها تحاول تفسير لماذا قد يبقى الاكتئاب قابلاً للعودة حتى بعد تحسن بعض مظاهره المعرفية الظاهرة.

القيمة العلمية والجدة والحدود النظرية

تتمثل المساهمة التصورية المقترحة لهذه الورقة في أنها تحاول جمع عدة خطوط من الأدلة تحت سؤال واحد: ما الذي يبقى بعد أن تتخفف الأعراض، ويجعل العودة أكثر احتمالاً؟ وفي حدود المواد المتاحة، تبدو أقوى صياغة ممكنة هي أن بعض حالات الاكتئاب المستمر أو الراجع قد تُفهم باعتبارها نتاج تفاعل بين قابلية مخططة سلبية، وانحيازات مرجعية للذات، وعمليات تنظيمية من قبيل الاجترار والتجنب وبعض الوظيفة الدفاعية غير الناضجة، وصعوبات في تحديث المعتقدات على ضوء المعلومات الإيجابية الناقضة (Bishop et al., 2022; Collins & Winer, 2024; Akbari et al., 2022; Fiorentino et al., 2024; Zabag et al., 2025).

يستخدم مصطلح النظام الدفاعي هنا استخدامًا محدودًا ومقيّدًا. فهو لا يحيل إلى جهاز خفي ذي قصد مستقل، بل إلى مجموعة من العمليات التنظيمية التي قد تعمل، في بعض الحالات، على تقليل الألم الآني أو تجنب التناقض المؤلم، لكنها تفعل ذلك بطريقة قد تُبقي الضيق فعالاً أو تؤخر التصحيح. ويشمل هذا، بدرجات متفاوتة، التجنب الخبراتي، وبعض أشكال الاجترار حين يعمل بوصفه دوراً في الخبرة بدل معالجتها، وبعض أنماط الوظيفة الدفاعية غير الناضجة التي ترتبط بالاكتئاب على مستوى الفروق بين المجموعات (Akbari et al., 2022; Fiorentino et al., 2024). الطولية وشبه التجريبية إلى أن تغير بعض أنماط الدفاع يقترن بتغير الأعراض، غير أن هذا الارتباط لا يكفي وحده لحسم اتجاه السببية (da Silva Machado et al., 2023; Perry et al., 2025).

أما تعبير العمليات الجارية خارج الوعي الكامل فينبغي ضبطه بصرامة؛ إذ لا يجوز جمع كل ما هو تلقائي أو ما قبل انتباهي أو ضمني جزئياً في خانة تفسيرية واحدة. فالدليل المتاح يدعم، في حدوده، وجود مؤشرات على معالجة ما قبل انتباهية في الاكتئاب، كما في بعض نتائج mismatch negativity، ويدعم أيضاً بقاء بعض مظاهر المعالجة الذاتية السريعة أو غير المنعكسة كلياً خلال الهدأة، كما في نتائج (Tseng et al., 2021) Allison et al. (2021). المعالجة التنبؤية أن بعض اختلالات الاكتئاب قد تُفهم عبر ديناميات توقع/خطأ/تحديث تعمل جزئياً على نحو غير منعكس دائماً (Kube et al., 2020) لكن كل ذلك لا يثبت وجود «وكيل دفاعي لاواعي» يدير الاكتئاب؛ والأدق علمياً أن يقال إن بعض مساهمات الاستمرار قد تعمل على مستويات تلقائية أو ما قبل انتباهية أو جزئية الضمنية، من غير أن تتحد في آلية واحدة متجانسة.

مناقشة مقارنة مع نموذج بيك

إذا أُعيدت المقارنة مع نموذج بيك على نحو دقيق، أمكن القول إن العلاقة بين النموذجين المقترحين ليست علاقة إبطال، بل علاقة امتداد تفسيري يحتاج إلى اختبار. فبيك يقدم إطاراً قوياً لفهم الاكتئاب من خلال المخططات والتحيزات والثالث المعرفي (Beck et al., 1979)، ولا تزال الأدلة الحديثة تؤيد وجود تحيزات معرفية ذات صلة بالاكتئاب، حتى مع بقاء مسألة النوعية موضع تحفظ (Nieto et al., 2020). لكن الورقة الحالية تقترح أن بعض صور الاستمرار والانتكاس قد تتطلب مستوى تحليلياً أوسع يضم، بالإضافة إلى المخططات والتحيزات، عمليات الاجترار، والتجنب، والانحيازات المرجعية للذات،

المراجع:

- Akbari, M., Seydavi, M., Hosseini, Z. S., et al. (2022). Experiential avoidance in depression, anxiety, obsessive-compulsive related, and posttraumatic stress disorders: A comprehensive systematic review and meta-analysis. *Journal of Contextual Behavioral Science*, 24, 84–98. <https://doi.org/10.1016/j.jcbs.2022.03.007>
- Allison, G. O., Kamath, R. A., Carrillo, V., et al. (2021). Self-referential processing in remitted depression: An event-related potential study. *Biological Psychiatry: Global Open Science*, 3(1), 119–129. <https://doi.org/10.1016/j.bpsgos.2021.12.005>
- Beck, A. T., Rush, A. J., Shaw, B. F., & Emery, G. (1979). *Cognitive therapy of depression*. Guilford Press.
- Bell, I. H., Marx, W., Nguyen, K., et al. (2023). The effect of psychological treatment on repetitive negative thinking in youth depression and anxiety: A meta-analysis and meta-regression. *Psychological Medicine*, 53(1), 6–16. <https://doi.org/10.1017/S0033291722003373>
- Bishop, A., Younan, R., Low, J., & Pilkington, P. D. (2022). Early maladaptive schemas and depression in adulthood: A systematic review and meta-analysis. *Clinical Psychology & Psychotherapy*, 29(1), 111–130. <https://doi.org/10.1002/cpp.2630>
- Brouwer, M. E., Williams, A. D., Kennis, M., et al. (2019). Psychological theories of depressive relapse and recurrence: A systematic review and meta-analysis of prospective studies. *Clinical Psychology Review*, 74, 101773. <https://doi.org/10.1016/j.cpr.2019.101773>
- Buckman, J. E. J., Underwood, A., Clarke, K., et al. (2018). Risk factors for relapse and recurrence of depression in adults and how they operate: A four-phase systematic
- في إثبات كيان كامن جديد، بل في اقتراح جعل تزامن هذه المكونات موضوعاً تفسيريًا مباشرًا.
- غير أن حدود هذا الطرح لا تقل أهمية عن قيمته. فالدليل على المخططات والمعالجة المرجعية للذات قوي في الارتباط وأقل حسماً في الاتجاه السببي (Bishop et al., 2022; Collins & Winer, 2024). الوظيفة الدفاعية أقوى في الفروق بين المجموعات منه في بيان آليات التغير السببي طويل المدى، مع أن بعض الدراسات الطولية تقدم إشارات واعدة لا أكثر (Fiorentino et al., 2024; da Silva Machado et al., 2023; Perry et al., 2025). «الحلقات» و«النظم» يجب أن تُستخدم بحذر؛ لأن الأدبيات المنهجية حول الشبكات الاكتئابية حذرت من المبالغة في تحويل الترابطات إلى يقين سببي (Huang et al., 2023). وعلى هذا الأساس تبقى نظرية كشف الكيان، في صيغتها الحالية، فرضية تركيبية قابلة للاختبار أكثر من كونها نموذجًا سببيًا مغلقًا.
- الخاتمة**
- تقترح هذه الورقة، على نحو تصوري قابل للاختبار، أن استمرار الأعراض الاكتئابية وانتكاسها قد يُفهمان بصورة أدق إذا نُظر إليهما بوصفهما نتاج تفاعل بين المخططات السلبية المرتبطة بالذات، والانحيازات في المعالجة المرجعية للذات، وآليات الاجترار والتجنب وبعض الوظيفة الدفاعية غير الناضجة، وصعوبات تحديث المعتقدات في ضوء المعلومات الإيجابية، لا بوصفهما مجرد امتداد مباشر لمحتوى فكري سلبي منفرد. ولا يناقض هذا الطرح النموذج المعرفي لبيك، بل ينطلق من بعض مسلماته ويقترح توسيعاً لمستوى التحليل، مع إبقاء التمييز واضحاً بين ما تدعمه الأدلة مباشرة وبين ما يظل فرضية تفسيرية تحتاج إلى اختبار لاحق.

- review and meta-synthesis. *Clinical Psychology Review*, 64, 13–38.
<https://doi.org/10.1016/j.cpr.2018.07.005>
- Collins, A. C., & Winer, E. S. (2024). Self-referential processing and depression: A systematic review and meta-analysis. *Clinical Psychological Science*, 12(4), 721–750.
<https://doi.org/10.1177/21677026231190390>
- da Silva Machado, R., Vieira, I. S., Scaini, C., et al. (2023). Ego-defense mechanisms and brief psychotherapies for the management of major depressive disorder in adults: A longitudinal and quasi-experimental study. *Journal of Affective Disorders*, 330, 291–299.
<https://doi.org/10.1016/j.jad.2023.02.141>
- de Klerk-Sluis, J. M., Huijbers, M. J., Löcke, S., et al. (2022). Factors associated with relapse and recurrence of major depressive disorder in patients starting mindfulness-based cognitive therapy. *Depression and Anxiety*, 39(2), 113–122.
<https://doi.org/10.1002/da.23220>
- Fiorentino, F., Lo Buglio, G., Morelli, M., et al. (2024). Defensive functioning in individuals with depressive disorders: A systematic review and meta-analysis. *Journal of Affective Disorders*, 357, 42–50.
<https://doi.org/10.1016/j.jad.2024.04.091>
- Huang, D., Susser, E., Keyes, K. M., et al. (2023). Depression networks: A systematic review of the network paradigm causal assumptions. *Psychological Medicine*, 53(5), 1665–1680.
<https://doi.org/10.1017/S0033291723000132>
- Kube, T., Schwarting, R., Rozenkrantz, L., Glombiewski, J. A., & Rief, W. (2020). Distorted cognitive processes in major depression: A predictive processing perspective. *Biological Psychiatry*, 87, 388–398.
<https://doi.org/10.1016/j.biopsych.2019.07.017>
- Ma, D., Cao, J., Wei, J., & Jiang, J. (2024). Immature defense mechanisms mediate the relationship between negative life events and depressive symptoms. *Frontiers in Psychiatry*, 14, 1341288.
<https://doi.org/10.3389/fpsy.2023.1341288>
- Nieto, I., Robles, E., & Vázquez, C. (2020). Self-reported cognitive biases in depression: A meta-analysis. *Clinical Psychology Review*, 82, 101934.
<https://doi.org/10.1016/j.cpr.2020.101934>
- Perry, J. C., Starrs, C. J., Semeniuk, T., et al. (2025). Change and sustained recovery in defense mechanisms and depression in a pilot study of antidepressant medications plus up to 18 months of psychotherapy for recurrent major depression. *Research in Psychotherapy: Psychopathology, Process and Outcome*, 28(3).
<https://doi.org/10.4081/ripppo.2025.885>
- Stenzel, K. L., Keller, J., Kirchner, L., et al. (2025). Efficacy of cognitive behavioral therapy in treating repetitive negative thinking, rumination, and worry – a transdiagnostic meta-analysis. *Psychological Medicine*, 55, e121.
<https://doi.org/10.1017/S0033291725000017>
- Tseng, Y.-J., Nouchi, R., & Cheng, C.-H. (2021). Mismatch negativity in patients with major depressive disorder: A meta-analysis. *Clinical Neurophysiology*, 132(9), 2354–2365.
<https://doi.org/10.1016/j.clinph.2021.06.019>
- Wojnarowski, C., Firth, N., Finegan, M., & Delgado, J. (2019). Predictors of depression relapse and recurrence after cognitive behavioural therapy: A systematic review and meta-analysis. *Behavioural and Cognitive Psychotherapy*, 47(5), 514–529.
<https://doi.org/10.1017/S1352465819000080>
- Zabag, R., Vander Zwahlen, Y., Kube, T., et al. (2025). Belief updating deficits in depression: A systematic review and meta-analysis. *Clinical Psychology Review*, 121, 10264